شاهنده مقلد

«لن انسى ابدا ما كتبه أبى فى الاوتوجراف الخاص بى إذ قال «ابنتى العزيزة. اتقى الله فى كل كبيرة وصغيرة. لا تفعلى سرا ماتخشينه علنا ودافعى عن رأيك حتى الموت»
قائمقام عبد الحميد مقلد
شاهنده مقلد (فى حوارها معى)

كان القائمقام عبد الحميد مقلد ضابطا وطنى الاعتقاد وفدى الانتماء. والأسرة ذات ثراء يكفى لكى نصفها بأنها من أغنياء الفلاحين. فجدها لأبيها هو الشيخ على مقلد عمدة كمشيش. وجدها لأمها البكباشى محمد خالد الضابط فى سلاح الحدود. الأم متعلمة. والأب القائمقام مثقف على عادة ضباط هذا الزمان، يقرأ كثيرا، ويتحدث فى السياسة دون خوف، ولا يخفى احترامه لحزب الوفد وسياساته، وهو عاشق للموسيقى وعازف ممتاز على العود. وبسبب وفديته كان يطارد دوما فى فترات ابتعاد الوفد عن الحكم وهى فترات طويلة. وهكذا تعين على الضباط الوفدى أن ينقل من مكان سىء إلى مكان أسوأ مصطحبا معه زوجته وابناءه الستة بين أسوان - منفلوط- اسيوط- الفيوم - قنا - دير مواس- طلخا وبلدات أخرى وصل عددها إلى أربعة عشر. وكان التقرير الذى منحته حكومة الوفد للضابط العاشق للوفد أن نقلته مأمورا لمركز سمنود مسقط رأس النحاس باشا.

من المدرسة الاعدادية حصلت شاهندة على الشهادة ثم لم تكمل الدراسة. الأب مات وسنها ستة عشر عاما، وبعدها فقدت الزهو بأنها «بنت البيه المأمور». ويتفتح إدراك شاهنده على حرب فلسطين عام ١٩٤٨ (ولدت فى عام ١٩٣٨). وعندما الغى النحاس باشا معاهدة ١٩٣٦ شاركت فى المظاهرات بحماس . وكانت تلاحظ إنه عندما تلتهب اى مظاهرة يقوم «البيه المأمور» برفع سماعة التليفون لكى لا يتلقى اى اوامر بفض المظاهرة.

وعندما قامت ثورة ٢٣، تحرر الأب بعض الشيء من قيود الوظيفة ووجه برقية إلى محمد نجيب يقول فيها «مادام الدستور رائدكم، وصالح الأمة مقصدكم فإلى الإمام والله يرعاكم. بكباشي عبد الحميد مقلد. «مأمور مركز سمنود». وعندما خضت الثورة معركة الإصلاح الزراعي كان اول من ايدها من ضباط البوليس فنقل مأمورا لمركز طلخا حيث أعتى الأسر الاقطاعية (البدراوى باشا وسراج الدين باشا).

ويظل الضباط الثائر على علاقة بكمشيش فهى بلدته لكنها ايضا بلدة أسرة من كبار الاقطاعيين عائلة الفقى واستنادا إلى علاقة الأسرة بأنور السادات استطاعت عائلة الفقى تهريب مساحات كبيرة من الأرض من الإصلاح الزراعي عبر عقود بيع وهمية، وبدأت المعارك بين الفلاحين المتمسكين بالأرض وبين عائلة الفقى وكان «البيه المأمور ، مع الفلاحين ووصل الأمر إنه كان يهرب لهم السلاح فى سيارته الحكومية لكى يردوا على ترويع عائلة الفقى لهم. وفى أحيان كثيرة كان يستخدم شاهندة فى تهريب الذخيرة والسلاح. وكالعادة لجأ الاقطاعيون إلى السادات الذى رتب نقل المأمور إلى بنى سويف وفى محاولة لتبرير النقل منحوه ترقية.

ونعود إلى شاهندة وهى تلميذه فى ثالثة اعداد بمدرسة شبين الكوم وهناك التقت بمدرسة يسارية هى «أبلة وداد مترى» والمدرسة اليسارية تفيض حماسا وحيوية. شاهندة أحبت ابلة وداد ، لكن همسات من زميلاتها تقول «ابلة وداد شيوعية» جعلت شاهندة تتعلق بها وتطاردها لتعرف ما هى الشيوعية. ابلة اعطتها كتاب «أصل العائلة» لكنها لم تفهم حرفا من الكتاب المعقد فأعطتها كتابا آخر أكثر تعقيدا. ولاحظ صلاح ذلك فاعطاها كتاب الاقتصاد السياسى من تأليف ليونيتيف. واستطاعت أن تقرأ وفتهم.

* * *

وهكذا نأتى إلى صلاح حسين ابن عمتها. هذه العمة التى كانت لها حكاية تناقلتها الأسرة جيلابعد جيل فقد سافرت إلى القاهرة مع بعض الكبار لشراء جهازها وفساتينها استعدادا للزواج. كانت القاهرة تغلى بثورة ١٩١٩. وجدت اناسا يجمعون تبرعات لتمويل رحلة سعد زغلول والوفد المصرى المرافق له لحضور مؤتمر الصلح. تبرعت بكل ما معها من نقود وعادت دون أن تشترى شيئا. وكان صلاح كأمة يفيض حماسا وثورية، سافر إلى فلسطين عام ١٩٤٨ ليحارب الصهيونية. ثم سافر إلى القنال عام ١٩٥١ ليحارب الانجليز

وفى ١٩٥٦ شكل كتيبة من فلاحى كمشيش ليحاربوا العدوان الثلاثى، وعاش مع الفلاحين ليدافع عنهم ولينثر فى صفوفهم الوعى بحقوقهم. شاهندة تعلقت بصلاح،كان يكبرها بعشر سنوات وتزوجته رغم أنف الجميع. ومع «ابلة وداد» اصبح صلاح وشاهنده ماركسيان على الطريقة الكمشيشية اى يعيشان مع فلاحى كمشيش ويناضلان معهم يوما بيوم. والتهب النضال الفلاحى ضد عائلة الفقى ودوى الرصاص وسقط ثلاثة بلطجية استأجرتهم عائلة الفقى قتلى. ومرة أخرى يظهر السادات ويقرر اعتقال ٢٧ فلاحا وأن ينفى صلاح والفقى إلى الاسكندرية. وعائلة الفقى لا تسكت.. بعد سلسلة من المعارك يسقط صلاح شهيدا. ويشعل استشهاده معركة تصفية الاقطاع، أما شاهندة فقد جعلت من كمشيش رمزا للنضال الفلاحى ومن يوم اغتيال صلاح عيدا سنويا يؤكد تواصل النضال الفلاحى. ويعلو صوت شاهنده ليجتذب الكثيرين وتقرر لجنة تصفية الاقطاع استعادة الأرض المهربة وفرضت الحراسة على أملاك عائلة الفقى وتم القبض على كبارها. الأرض وزعت على الفلاحين وقصر الفقى صودر وأصبح قصرا للثقافة ومركز اعلاميا. وسلمت شاهندة مفاتيح بيتها إلى لجنة من الفلاحين ليستخدمه الفلاحون متى شاءوا واسموه بيت الشعب. وتمتد سيرة كمشيش عابرة للقارات وفى ١٩٦٦ يزور جون بول سارتر مصر ويطلب زيارة كمشيش ويذهل من وعى الفلاحين ويصرح سارتر وهو يغادر مصر قائلا «اغادركم وقد تأثرت بفلاحى كمشيش وعمال مصنع كيما»، وتمضى شاهندة لتجعل من ذكرى استشهاد صلاح عيدا لليساريين فتمتلئ كمشيش بزائرين شعراء ومسرحيين وموسيقى وأغانى وندوات .

وفى خطاب عبد الناصر فى عيد أول مايو ١٩٦٧ قال «صلاح حسين استشهد بعد ١٤ سنة من الثورة وده معناه أن لسه فيه رجعية» وإذ تأتى النكسة تشكل شاهنده كتيبة من ٥٠ من فلاحى كمشيش وسافرت معهم إلى بورسعيد.

وبعد رحيل عبد الناصر يأتى السادات. ويقرر الانتقام من كمشيش وحوصرت القرية، وهدم النصب التذكارى لصلاح حسين، وصدر قرار من وزير الداخلية بابعاد ٢٠ شخصال منهم ثلاثة نساء وعلى رأس الجميع شاهنده إلى خارج القرية، ويبقى المبعدون مشتتين لخمس سنوات حتى صدر حكم من محكمة القضاء الإدارى بعدم دستورية قرار النفى. وفى ١٩٧٥ وعقب المظاهرات الشهيرة اعتقلت شاهندة وتتوالى مرات الاعتقال ثلاث مرات

وفى المرة الرابعة هربت شاهنده. وكرد على هروبها يعتقل ابنها الأكبر ناجى لكنها تواصل نضالها وهى هاربة.

ومع تأسيس التجمع تأتى شاهنده ومعها كمشيش . وتصبح شاهنده أول أمينة للحزب فى المنوفية. وتواصل شاهنده معارك الفلاحين فى صفوف اتحاد الفلاحين (تحت التأسيس) ومعاركها فى صفوف حزب التجمع.